

استعادة التراث العربي في الآداب السامية في اللغة العبرية الوسيطة

أ. د. محمد خليفة حسن (*)

ملخص البحث

اهتمت ورقة الدكتور محمد خليفة حسن (استعادة التراث العربي في الآداب السامية وفي اللغة العبرية الوسيطة) بتوجيه الأنظار إلى بعض المجالات الجديدة والجديرة بالاهتمام في عملية استعادة التراث العربي وهي مجالات صعبة نسبياً وتطلب تأهيل عدد من الدراسات المتخصصين الذي يستطيعون الدخول إلى هذا المجال وخدمته ، وتتمثل هذه الصعوبة في أن التراث العربي المراد إحيائه هنا ليس مكتوباً بالخط العربي كما أنه في بعض الأحيان ليس مدوناً في اللغة العربية وقد نتج عن هذه الصعوبة إهمال شديد لهذا التراث بل وجهل به في معظم الأحوال ، محدداً الآداب والثقافات التي يجب استعادة تراثنا منها فيما يلي : الآداب السامية القديمة داعياً العرب إلى قراءة عربية لكتاب (العهد القديم) ؛ لما يحتويه من مادة نعتقد أنها عربية في أصولها . وأن البحث عن بقايا الأدب العربي القديم يجب أن يستهدف كتاب العهد القديم كواحد من المصادر الأساسية للأدب العربي القديم على ما يبدو من غرابة في هذا الرأي . والمصدر الثاني الذي دعا حسن استعادة تراثنا العربي منه ما كتب في اللغة العربية الوسيطة حيث سادت في العصر الوسيط ظاهرة نقل أعمال من التراث العربي العلمي والأدبي إلى بعض الخطوط السامية الأخرى ، ومن أهمها الأعمال التي نقلت إلى الخط العبري بواسطة العلماء اليهود والتي غطت تقريباً معظم مجالات الإنتاج العربي على مستوى العلوم التجريبية والعلوم النظرية (ومن بينها علوم الدين والأدب والفلسفة والأخلاق) .

وأشار خليفة حسن إلى لجوء العلماء اليهود في العصر الوسيط إلى هذا الأسلوب في نقل التراث العربي وذلك لإثراء الثقافة اليهودية بموضوعات من التراث العربي الذي

(*) أستاذ الفلسفة رئيس مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة .

نشأوا في بيئته وتأثروا به أحصاهم في ستة وعشرين مترجماً يهودياً وتأتي في المرتبة الأخيرة الأعمال المكتوبة بالعربية وبالخط العربي : ترجمات أبراهام بن عزرا (١١٤٠ - ١١٤٦م) وهو يهودي أندلسي اشتغل بالترجمة من العربية إلى العبرية ؛ وترجمات إبراهيم برهياً (١١٣٠ - ١١٥٠م) يهودي أندلسي ؛ ويوسف قمحى (١١٥٠م) يهودي أندلسي . . وغيرهم .

وفي نهاية محاضراته دعا د . محمد خليفه حسن إلى ما يلي :

- ١ - الاهتمام بإحياء التراث العربي لتثبيت الهوية العربية في العصر الحديث .
- ٢ - الاهتمام بدراسة التراث العربي الموجود في الآداب غير العربية .
- ٣ - نقد التراث العربي المدون بخطوط غير عربية إلى الخط العربي وبخاصة التراث العربي المدون بالخطين العبري والسرياني (الكرشوني) .
- ٤ - استعادة نصوص التراث العربي التي فقدت أصولها في اللغة العربية وبقيت موجودة في الترجمات العبرية .
- ٥ - قراءة بعض نصوص العهد القديم وبعض نصوص الآداب السامية القديمة قراءة عربية في محاولة للكشف عن بعض النصوص العربية القديمة .
- ٦ - النظر إلى النصوص العربية المدونة بالخط العبري على أنها تمثل نسخاً إضافية إلى النسخ العربية المخطوطة للعمل العربي الواحد .
- ٧ - دعم مراكز تحقيق التراث العربي وإنشاء مراكز جديدة وتوجيه بعض المراكز النوعية المتخصصة إلى الاهتمام بنشر التراث العربي في الآداب الأخرى .
- ٨ - الاهتمام بتأهيل متخصصين في تحقيق المخطوطات ونشرها .
- ٩ - تخصيص بعض رسائل الماجستير والدكتوراه لتحقيق النصوص ودراسة المخطوطات .

استعادة التراث العربي في الآداب السامية القديمة

وفي العبرية الوسيطة

مقدمة

إن قضية التراث أصبحت تمثل إحدى القضايا الثقافية المهمة في ظل المتغيرات السياسية والثقافية والاقتصادية التي يمر بها العالم ، وبخاصة بعد تبلور ظاهرة العولمة ووضوح خطرهما الثقافي ، وتهديدها للثقافات الوطنية والإقليمية ، وتهميشها للدور الثقافي القومي ، وتركيزها على ما يسمى بالثقافة العالمية ورفضها للتعددية الثقافية .

ولذلك فإن قضية التراث العربي تحتاج إلى مناقشة جديدة وجادة في ظل العولمة الثقافية تطرح قضية مستقبل الثقافة العربية من ناحية ، ومسألة إحياء التراث العربي بوصفها مسألة قومية وإنسانية من ناحية أخرى . ولابد هنا من الربط بين القضيتين فإن مستقبل الثقافة العربية مرهون بإحياء التراث العربي ، وإبراز تأثيره في الثقافة العالمية وفضله عليها وبخاصة في ظل غياب أي " قيمة جوهرية ذاتية للثقافة العربية الحديثة " ، وسيطرة حالة من العجز والجمود على الموقف الثقافي الراهن ، وسيادة شعور بالدونية الثقافية في مواجهة الثقافة الغربية ، وغياب الإبداع الحقيقي في كل مجالات الحياة العلمية والثقافية في ظل نظام تعليمي يقوم على التلقين وفي ظل مناخ علمي لا يساعد على الابتكار .

وتهتم هذه الورقة بتوجيه الأنظار إلى بعض المجالات الجديدة ، والجديدة بالاهتمام في عملية استعادة التراث العربي ، وهي مجالات صعبة نسبياً ، وتتطلب تأهيل عدد من الدارسين المتخصصين الذين يستطيعون الدخول إلى هذا المجال وخدمته ، وتمثل هذه الصعوبة في أن التراث العربي المراد إحيائه هنا ليس مكتوباً بالخط العربي كما أنه في بعض الأحيان ليس مدوناً في اللغة العربية ، وقد نتج عن هذه الصعوبة إهمال شديد لهذا التراث بل وجهل به في معظم الأحوال .

أولاً : استعادة التراث العربي في الآداب السامية القديمة :

من القضايا المهمة في دراسة الأدب العربي القديم من منظور عربي سامي قضية التأريخ للأدب العربي القديم ، فمن المعروف أن العامل الديني كان له تأثيره المباشر في قسمة تاريخ الأدب العربي عامة إلى أدب جاهلي وأدب عربي مرتبط بالعصر الإسلامي ، أو في تقسيم آخر أكثر وضوحاً : أدب عربي سابق على الإسلام . وأدب عربي بعد ظهور الإسلام ، أو أدب ما قبل الإسلام وأدب ما بعد الإسلام . وعادة ما يقسم أدب ما بعد الإسلام إلى عدة عصور مرتبطة بالتاريخ السياسي للمسلمين مثل أدب صدر الإسلام ، وأدب العصر الأموي ، وأدب العصر العباسي ، والأدب العربي الحديث . وهناك تقسيمات أخرى تخضع لعوامل إقليمية أفرزت مسميات مثل الأدب المصري ، والأدب العراقي ، والأدب الأندلسي إلى غير ذلك .

ومن الملاحظ في كل هذه التقسيمات لتاريخ الأدب العربي غياب العامل الأدبي في التقسيم . فهذه التقسيمات لا تعتمد على عامل داخلي أي من داخل الأدب العربي وتطوره ، ولكنها تعتمد على عوامل خارجية سياسية كانت أم دينية أو غير ذلك .

وباستخدام المنظور العربي السامي في التأريخ للأدب العربي القديم لابد من إخضاع الأدب العربي القديم لظروف تطور الأدب السامي القديم نفسها في التاريخ . وهذا الربط بين الأدبين له نتائجه المهمة بالنسبة للأدب العربي في مرحلته السابقة على الإسلام . ومن أول هذه النتائج المهمة أن بداية تأريخ الأدب العربي بالعصر الجاهلي بداية خاطئة من المنظور العربي السامي . فالأدب الجاهلي يمثل آخر عصور الأدب العربي القديم قبل ظهور الإسلام ، وهو في نفس الوقت يمثل بداية لعصر أدبي جديد . ويحق لنا أن نسمي العصر الأدبي المنصرم بالعصر الأدبي السامي ونسمي الثاني بالعصر الأدبي الإسلامي . فالأول أدب تم إنتاجه وإبداعه في بيئة عربية سامية ، والثاني تم إنتاجه في بيئة عربية إسلامية ، والمساحة الجغرافية التي تغطيها البيئتان هي مساحة واحدة ، فالمنطقة العربية السامية تظل المركز الأساسي للإنتاج الأدبي العربي بعد الإسلام كما كانت قبله . فالعالم السامي القديم دخل برمته في الإسلام كدين وحضارة ، وأصبح

خاضعاً للإسلام سياسياً في الوقت الذي حافظ فيه الأدب العربي على تنوع موضوعاته في العصرين العربي السامي والإسلامي . فالموضوع الديني موجود في العصرين . كما أن الموضوعات غير الدينية لها أيضاً وجودها القوي في الأدبين مع اختلاف في الرؤية وفي درجة التركيز وفقاً لاختلاف المناخ الفكري بين العصر العربي السامي والعصر الإسلامي .

ووفقاً للمنظور العربي السامي لابد من وجود عصور أدبية سابقة على العصر الأدبي المسمي بالجاهلي آخر عصور الأدب العربي القديم قبل الإسلام أي آخر العصور الأدبية السامية . والذي يؤكد هذه الحقيقة التاريخية قدم الأدب السامي القديم وعودته إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد وفقاً لأقدم الآداب السامية المدونة . وربما يعود إلى أقدم من هذا التاريخ لو أخذنا في الاعتبار وجود مراحل تطور أدبية شفوية قبل تدوين النصوص الأدبية السامية .

ونظراً لأن النظرية السائدة في مجال الدراسات العربية السامية هي نظرية الأصل العربي الأول للساميين وللغات السامية ، فمن هذا المنطلق نقول بضرورة الاعتقاد النظري في وجود أدب عربي قديم سابق على الآداب السامية القديمة ويعتبر أصلاً لها . وهذا يحتم وجود عصور أدبية عربية قديمة سابقة على العصر الجاهلي ومواكبة للعصور الأدبية السامية بل وسابقة عليها . وإنه لمن الصواب أن نتساءل عن " أدب سامي أم " كما تم التساؤل من قبل بعض المتخصصين في اللغات السامية عن " لغة سامية أم " وعن " وطن سامي أول " وحول اللغة العربية كلغة سامية أم ، فمن المنطقي أن نعتقد نظرياً في وجود أدب عربي قديم كأصل للآداب السامية القديمة .

وعملية ربط تاريخ الأدب العربي القديم بتاريخ الآداب السامية القديمة تجبرنا على تصور وجود عصرين أساسيين في تطور الأدب العربي قبل الإسلام : العصر الأول عصر أدبي أسطوري يتناسب مع سيادة الأسطورة على الإنتاج الأدبي السامي حين كانت الأسطورة الوسيلة الأدبية المتاحة للتعبير عن الأنشطة الإنسانية المختلفة . والعصر الثاني عصر أدبي تاريخي يبدأ بانحسار التفكير الأسطوري في الشرق الأدنى القديم ، وبداية

مرحلة من التفكير العقلي عبر فيها الإنسان السامي القديم - والإنسان العربي القديم بالطبع - عن نفسه من خلال وسائل أدبية أكثر عقلانية ومنطقية في بنيتها مثل القصة والرواية والمثل والقصيدة الشعرية التي تميل إلى الواقعية في الوصف والتصوير ، وتبتعد تدريجياً عن الخيال الأسطوري القديم ، ونواجه هنا مشكلة تحديد البداية والنهاية التاريخية لهذين العصرين . وهي مشكلة عامة بالنسبة لكل الآداب السامية القديمة التي مرت بالطورين الأسطوري والتاريخي العقلي في تطورها مع الأخذ في الاعتبار بوجود مرحلة انتقال فكرية من الفكر الأسطوري إلى الفكر التاريخي لا بد وأن يكون الأدب السامي نفسه قد مر بها . وهي مرحلة انتقال جمع فيها الإنسان السامي القديم بين الأسطوري والتاريخي في أدبه . وتحديد فترة معينة لهذه المرحلة الانتقالية يعد من الأمور الصعبة . فقد ظل الأدب السامي القديم يجمع بين العناصر الأسطورية والتاريخية طوال تاريخه القديم مع ترجيح للأسطوري على التاريخي أو العكس ، وفقاً للتطور التاريخي الحضاري للشعوب السامية القديمة ، واختلاف درجة هذا التطور من شعب سامي إلى آخر في التاريخ القديم . ولعل أصدق مثال على صعوبة الفصل بين الأسطوري والتاريخي أو العقلي نجده يتمثل في التناج اليوناني رغم حداثة في التاريخ إذا ما قورن بالنتاج السامي فقد جمع اليونان بين أسلوبين مختلفين للتعبير عن الفكر الإنساني في آن واحد . وقد استخدموا الأسطورة بإغراقها في الخيال والفلسفة مع إغراقها في التجريد . وهكذا كان الحال مع الشعوب السامية ، ولكن في درجة أقل حدة منها عند اليونان بسبب قدم الشعوب السامية وأسبقيتهم في التاريخ . فالساميون لم يصلوا إلى مرتبة اليونان في التجريد العقلي فاستمر أدبهم يجمع بين الأسطورة والتاريخ في وحدة واحدة ربما لم تتوفر للعقل اليوناني .

ويبدو من طبيعة الحياة العربية القديمة أن العرب قد مروا بمرحلة أدبية شفوية أطول من غيرهم من الشعوب السامية القديمة . وذلك لاختلاف ظروف العرب البيئية عن بقية الشعوب السامية التي عثر لها على نصوص أدبية تعود إلى عصور قديمة . ومن أهم هذه الظروف كون معظم الشعوب السامية الأخرى شعوباً زراعية - في بلاد النهرين أو في المنطقة السورية - مما أدى إلى وفرة المواد المستخدمة في الكتابة عنها في البيئة

الصحراوية كالألواح الطينية مثلاً وأوراق النباتات (كالبردي مثلاً) أو أدّى ذلك إلى الاعتماد على الذاكرة في تسجيل الأحداث شفهيّاً ، وكذلك في الإنتاج الأدبي الذي كان يتم انتشاره عن طريق حفظه ، وكذلك فيما يتعلق بالتشريعات المنظمة للحياة الإنسانية . والتي قامت في مناطق الوديان على أساس النصوص القانونية المدونة كقانون حمورابي وغيره ، بينما نظمت الحياة الإنسانية في الصحراء ، وخاصة العربية ، على أساس من العرف والتقاليد المتوارثة التي لم تعرف التدوين . وكان التعارف عليها وتوارثها هو بمثابة تدوين لها في العقل الجماعي للعرب .

ويبدو أن هذا هو السبب الرئيس في أن معظم نصوص الأدب العربي القديم لم تصل إلينا خاصة تلك التي تنتمي إلى العصر الأسطوري من تاريخ الفكر العربي وكثيراً من الإنتاج الأدبي السابق على فترة الجاهلية . فالاعتماد الأساسي على الذاكرة أدّى إلى ضياع الكثير من النصوص ، والتي مع ذلك يبدو أن جزءاً منها تسرب إلى آداب الشعوب السامية الأخرى ، والتي قامت بتدوينها بعد تكييفها لظروفها الحديثة كما تشهد على ذلك هذه الآداب ذاتها .

ونخلص من هذا إلى حقيقة مهمة وهي أن ندرة النصوص الدالة على الإبداع الأدبي القديم ليست دليلاً قوياً على عدم وجودها في الأصل إنما ندرتها تعود إلى الظروف البيئية لشبه الجزيرة العربية . التي لا يزال تاريخها القديم تاريخاً غامضاً بسبب الندرة العامة في الآثار الدالة على هذا التاريخ ، وصعوبة التنقيب عن الآثار في شبه الجزيرة العربية . ويخضع التأريخ الأدبي لشبه الجزيرة العربية لهذه الظروف نفسها التي يخضع لها تاريخها العام قبل الإسلام . ولذلك فالإنتاج الأدبي العربي القديم لا يزال في معظمه مطموراً في رمال الصحراء ، ومجهولاً بسبب هذه الظروف الخاصة بجغرافية شبه الجزيرة وطبيعتها .

وعلى الرغم من ذلك فإن بقايا من الإنتاج الأدبي العربي يجب أن نبحث عنها ونتقصاها في الآداب السامية المعاصرة للأدب العربي القديم . وهي بقايا تعالج لنا مسألتين هامتين : الأولى حول تاريخ الأدب العربي القديم ومدى قدم هذا الأدب ، والثانية تعطينا علاجاً مؤقتاً لمسألة ندرة النصوص العربية الأدبية القديمة . فمما لا شك

فيه أن كل الآداب السامية تقريباً تتخللها عناصر عربية أكيدة ، بعضها يعود إلى أصول قديمة جداً مرتبطة بكون العربية أصلاً للغات والآداب السامية ، وكون شبه الجزيرة الموطن الأول للساميين ، وبعض هذه العناصر يعود إلى فترات أحدث في تاريخ العلاقات العربية مع الساميين مع توالي الهجرات العربية إلى البيئة السامية في بلاد النهرين وفي المنطقة السورية ، وكذلك في المنطقة الإفريقية المواجهة لشبه الجزيرة العربية والقرية منها في الشرق الإفريقي .

وهذا العنصر العربي أساسي في كل الآداب السامية . ويحتاج الأمر إلى جهود علمية فائقة في مراجعة نصوص الآداب السامية من أجل تحديد هذا العنصر العربي ، وتحديد مدي إسهام العرب في الآداب السامية ، ودرجة تأثيرهم في هذه الآداب فضلاً عن الهدف الأساسي ، وهو استخراج بعض من النصوص الأدبية ذات الأصول العربية الخالصة في بنية الأدب السامي القديم . وحتى لا يظل رأينا هنا رأياً نظرياً نسوق مثاليين من الأدب السامي القديم للبرهنة على أن بقايا نصوص وآثار أدبية قديمة عرفت طريقها إلى الآداب السامية ، وأصبحت تحسب ضمن الإبداع الأدبي لبعض الشعوب السامية بعد أن تم دمج العنصر العربي بها بالعناصر الأساسية الأخرى في وحدة أدبية واحدة .

١ - المثال الأدبي الأول : نأخذ من أدب بلاد النهرين ، وتمثله أقدم ملحمة عرفها التاريخ الإنساني وهي ملحمة (جلجامش) التي تعود إلى أصل سومري قديم ، تم تعديله وإعادة صياغته وتركيبه بعد تمام السيادة السامية (العربية) على بلاد النهرين وقيام أول دولة سامية (عربية) وهي دولة (أكد) فصيغت الملحمة صياغة سامية عند البابليين والآشوريين يظهر فيها تأثير الفكر العربي القديم على بيئة بلاد النهرين في مرحلة تاريخية تعد من أقدم مراحل الاحتكاك بين العرب والساميين^(١)

إن الملحمة تقدم لنا نموذجين للبطولة في العالم القديم ينتميان إلى بيئتين مختلفتين ، وتوضح كيفية اندماج هاتين البيئتين في بيئة واحدة ودرجة تأثير كل بيئة منهما في الأخرى . النموذج الأول يمثله البطل جلجامش الذي يمثل البيئة الأصلية لبلاد النهرين ، ويؤكد ذلك الأصل السومري له فهو أحد ملوك سومر في الأصل . وهو يمثل

أيضاً البيئة الزراعية التي هي طبيعة بلاد النهرين . أما النموذج الثاني فيمثل البطل إنكيديو القادم من البيئة البدوية المحيطة ببلاد النهرين ويقصد بها بلا شك البيئة العربية الصحراوية . ولابد من دخول هذين البطلين في صراع بطولي يدور حول القيم . فإنكيديو البدوي الأصل والبدائي على المستوي الحضاري المادي يتحدي قيم الحضارة التي يمثلها جلجلمش المتحضر على المستوي الحضاري العام ، وتبين الملحمة في سيرتها انتصار قيم البادية على قيم الحضارة الزراعية ، ويظهر هذا الانتصار في التحول الذي يصيب شخصية جلجلمش ، خلال مراحل الملحمة ، والتغير الذي يصيب مفهوم البطولة فيها بفضل هذا التأثير البدوي العربي فيها ، وكما تُظهر الملحمة العنصر العربي من خلال هذا التأثير البدوي فيها . فإنها أيضاً تشير إلى المسار التاريخي من البداوة إلى الحضارة ، وتدل دلالة قاطعة على كيفية دخول البدو العرب الساميين في حضارة بلاد النهرين ، وعملية تكيفهم مع البيئة الجديدة ، وذكر العوامل النفسية الدقيقة المصاحبة لعملية التكيف ، والتغيرات التي طرأت على العنصر العربي خلال عملية التكيف هذه التي هي ليست إلا رمزاً إلى عملية عامة خضعت لها الجماعات البدوية القادمة من شبه الجزيرة العربية ، والتي انخرطت في شعوب بلاد النهرين وطبيعة الصراع الذي نشأ بين البيئة البدوية والبيئة الزراعية ، وفضل كل منهما على الأخرى في تشكيل إنسان ما بين النهرين ، وتكوين إنسان جديد يجمع بين الفطرة العربية التي تمثلها قيم البادية والشكل الحضاري المعقد الذي تمثله قيم البيئة الزراعية (٢)

هذه الملحمة هي في وجه من وجوها أثر عربي ربما يعتبر من أقدم الآثار العربية المعروفة في الآداب السامية خاصة إذا ما اعتبرنا الأصل السومري للملحمة من ناحية . وهي تؤكد أن الاحتكاك البدوي العربي ببيئة بلاد النهرين أقدم بكثير من عصر إبراهيم عليه السلام ، ومن هذه الملحمة يمكن أن نخرج بتحديد دقيق لطبيعة الشخصية العربية ، سواء قبل اندماجها في بيئة بلاد النهرين أو بعد اندماجها ، كما يمكن أن نحدد عدداً من القيم العربية الخالصة من حياة إنكيديو والظروف المحيطة به إذا ما تخلصنا من البنية الأسطورية لشخصيته في الملحمة . هذا بالإضافة إلى أن أقوال إنكيديو وتصرفاته في المرحلة السابقة على تكيفه مع البيئة الجديدة يمكن أن ينظر إليها على أنها بقايا لفكر عربي قديم وأثر أدبي على درجة كبيرة من الأهمية .

٢ - والمثال الأدبي الثاني : نأخذه من كتاب العهد القديم كتاب إلهود المقدس . وبداية أشير إلى أن كتاب (العهد القديم) لم تُدرك بعد أهميته العربية خاصة في دراسات الأدب العربي القديم . هذا الكتاب لابد من قراءته قراءة عربية لأن جل اهتمامنا الحالي به يتركز على محتوياته الدينية والتاريخية . والتي رغم أهميتها فقد حُجبت الأنظار عن قسم هام من أقسام (العهد القديم) ، وهو القسم الأدبي الذي يشتمل على مجموعة من الأسفار ذات الطابع الأدبي ، وتسمي هذه الأسفار بالمكتوبات وأحياناً بكتب الحكمة ، وتشتمل على ما خلفه الإسرائيليون والعبريون القدامي من نتاج أدبي في هذا المجال .

والصفة الأساسية في هذا القسم الأدبي أنه لا يشير في معظم الأحوال إلى نتاج أدبي يهودي خالص ، إنما هو بوتقة انصهر فيها العديد من آداب الشرق الأدنى القديم ، واختلطت فيها ثقافات متعددة على رأسها الثقافة العربية ثم الثقافة الآرامية وثقافة بلاد ما بين النهرين ، كما تظهر فيه آثار واضحة وقوية لثقافات بلاد فارس وإيونان . والحقيقة أن الثقافة العربية بالذات لا تظهر فقط في القسم الأدبي من العهد القديم ، ولكن نجدها واضحة في صور متعددة في أقسام العهد القديم خاصة في التوراة التي تعطينا من الناحية التاريخية تصوراً لانفصال العبريين عن العرب على المستوي التاريخي والجغرافي ، كما تشتمل على آثار عربية لا يستهان بها في حديثها عن إبراهيم عليه السلام والإسماعيليين والمديانيين وغيرهم من الأقوام العرب الذين نشأ بينهم العبريون القدامي الذين لا تختلف صورتهم في العهد القديم عن صورة العرب مما يؤكد على الأصول العربية للعبريين . وفي الأسفار التاريخية حديث متصل عن علاقات الإسرائيليين بكثير من الأسفار مثل سفر التكوين والخروج والقضاة وأسفار الملوك الأول والثاني وأخبار الأيام الأول والثاني وسفر راعوث الموابية . وهناك قصص تختلط فيها المادة العبرية بالمادة العربية مثل قصة يوسف وقصة ملكة سبأ . بل وهناك أسفار تدور الشكوك حول أصولها العبرية مثل أيوب وسفر الأمثال (٣)

الخلاصة أن كتاب (العهد القديم) في حاجة ماسة إلى قراءة عربية لمادته لما يحتويه من مادة نعتقد أنها عربية في أصولها . وأن البحث عن بقايا الأدب العربي القديم يجب أن يستهدف كتاب العهد القديم كواحد من المصادر الأساسية للأدب العربي القديم على ما

يبدو من غرابة في هذا الرأي . ولكنه رأي قديم قال به كثير من الدارسين الموضوعيين ، وأود أن أذكر بمقولة عميد الأدب العربي حين سأل عن كيفية دراسة الأدب العربي قائلاً : " وهل هناك سبيل إلى أن يدرس الأدب العربي دون أن تفهم التوراة والأناجيل ! وهل تظن أن بين شيوخ الأدب في مصر من قرأ التوراة أو قرأ الأناجيل . وكيف السبيل إلى أن يُدرس الأدب العربي درساً صحيحاً إذا لم تُدرس الصلة المادية والمعنوية بين اللغة العربية واللغات السامية وبين الأدب العربي والأدب السامي؟ " بصرف النظر عن الملابسات التي دفعت عميد الأدب العربي إلى قوله هذا لكنه أصاب الحقيقة حين أكد على أهمية الدرس التوراتي في فهم الحياة العربية القديمة والأدب العربي القديم . ونعتقد أنه حين أشار إلى التوراة فهو إنما يشير إلى كتاب " العهد القديم " ككل والمشتمل على التوراة كجزء منه .

ومن أهم أسفار العهد القديم ذات الطابع العربي سفر أيوب وسفر الأمثال . فالأول يروي قصة أيوب عليه السلام المعروفة كقصة من قصص القرآن الكريم ، وكرواية شعبية عربية تعد من أشهر القصص الشعبي العربي ذات التأثير على الوجدان بدليل انتشارها وصياغتها في صور أدبية متعددة . والحقيقة أن نسبة قصة أيوب إلى أصل عربي رأي قال به بعض النقاد المتخصصين في دراسات العهد القديم وفي الدراسات العربية ، فالمعجم الخاص بالعهد القديم الذي وضعه العلامة جيزنيوس يعرف أيوب بأنه عربي تعريفاً مباشراً ليس فيه لبس ، والمستشرق ألفرد جيوم A. Guillaume كتب مقالاً هاماً بعنوان " الخلفية العربية لسفر أيوب " وكذلك رد مرجيلوث السفر إلى أصول عربية (٤) . ويجب أن ننظر إلى هذا السفر على أنه صياغة يهودية لقصة أيوب العربية ، وأن هذه الصياغة تشتمل في تركيبها على أصل عربي مفقود للقصة . وربما لو أخضعنا القصة إليهودية لنوع من التحليل العلمي الهادف إلى التخلص من العناصر إليهودية لتم التمكن من عزل المادة العبرية إليهودية عن الأصل العربي ولوصلنا إلى تصور أولي للقصة العربية . ويؤكد على الأصل العربي المناخ العام والألفاظ المتعددة ذات الأصول العربية .

ومن الأسفار الأخرى التي تعكس أثراً عربياً واضحاً سفر راعوث الموآبية ، فموضوع السفر لا يعكس رؤية يهودية خالصة لأن موضوعه هو الزواج من الأجنيات ، وهو أمر مرفوض دينياً في إليهودية . وسفر راعوث يحكي قصة زواج إسرائيليين من

أجنيبات على أنه أمر طبيعي ، ولا يمثل خروجاً على الدين . ويتمادي السفر في هذه النظرة المتسامحة تجاه الأمم الأخرى بعدم مطالبة الزوجات الأجنيات بالدخول في اليهودية . والقصة في شكلها الحالي لها تفسيران : فهي إما أنها قصة يهودية بالفعل تابعة للمصدر الإلهيمي من مصادر العهد القديم وهو مصدر معروف بتسامحه النسبي تجاه غير اليهود ، أو أن القصة عربية موأبية ضاعت أصولها العربية ، وسجلها كتاب العهد القديم على أنها قصة يهودية ، وأرجح هذا الرأي الثاني لعدة أسباب من بينها أن المصدر الألوهيمي رغم تسامحه إلا أنه لم يتخل عن اعتقاد ديني أساسي له تأثيره المباشر في تحديد علاقة إلهود بغير إلهود وهو الاعتقاد في الاختيار الإلهي لبني إسرائيل . وهو اختيار جامع لبني إسرائيل مانع لغيرهم . والزواج من الأجنبية معناه السماح لغير إلهود بالدخول في العهد المقطوع مع الرب والاشتراك في الاختيار . كما نعتقد أن واقعة الزواج من الأجنبية (الموأبية) أدت إليها ظروف إجبارية كان فيها الإسرائيلي أجنبياً وفي أزمة اقتصادية ، وفي وضع يجعله يرحب بالزواج من الأجنبية ليتخلص من أزمته رغم الموانع التشريعية التي تحول دون ذلك . ونحن هنا أمام حالة اندماج ليهودي في بيئة أجنبية عليه تذكرنا بوضع إلهود في المجتمعات الأوروبية والأمريكية التي عملت على اندماج إلهودي فيها ، وكان الزواج المختلط إحدى وسائل الاندماج القوية . ونظراً لانغلاق المجتمع الإلهودي القديم وحدة العنصرية الدينية اليهودية فإن مثل هذا الحدث يؤدي إلى الإضرار بصاحبه ، ولا يمكنه من العودة إلى وضعه القديم في مجتمعه إلهودي ، بل ربما يؤدي إلى حرمانه دينياً من الدخول في " جماعة الرب " بسبب الزواج من الأجنبية . لهذه الأسباب مجتمعة نرى أن القصة انتشرت في البيئة الموأبية وليس في البيئة اليهودية ، كما أن الدافع إلى حكايتها وروايتها يظل دافعاً عربياً موأبياً وليس يهودياً ، فالعربي لا تقف أمام زواجه من الأجنبية حواجز تشريعية أو دينية كتلك التي تواجه إلهودي ، كما أن أحداث القصة وقعت على أرض عربية بمعنى أن مسرح الأحداث عربي . بالإضافة إلى أدلة تعطيها لنا القصة ذاتها كما وردت في العهد القديم منها الدليل اللغوي ، وهو انتشار ألفاظ وعبارات لا تفهم إلا من خلال التفسير العربي وتظل غامضة في إطارها العبري . كما أن المناخ العام للسفر يعكس بيئة عربية خالصة بالإضافة إلى أن

عملية ربط السفر بالتاريخ اليهودي عملية تعسفية تمت من خلال إقحام سلسلة للأنساب الإسرائيلية في نهاية السفر تحاول ربط بعض شخصيات السفر بنسب داود عليه السلام كما أن أسماء الأعلام في معظمها تعكس أصولاً عربية بينما تغلب الرمزية على الأسماء اليهودية الواردة في السفر .

ويعكس سفر الأمثال أيضاً كثيراً من الآثار العربية . فقد رد علماء نقد الكتاب المقدس الأجزاء الأخيرة من السفر إلى أصول عربية . فالإصحاح الثلاثون منسوب إلى (أجور بن متقية مساً) وقد تم تحديد (مساً) على أنها قبيلة إسماعيلية من قبائل شمال شبه الجزيرة العربية ^(٥) وقد ورد ذكر مساً في سفر التكوين على أنه من مواليد إسماعيل بن إبراهيم ^(٦) ، وفي الإصحاح الحادي والثلاثين يرد ذكر لموئيل ملك مساً والأمثال المنسوبة إليه في الإصحاح وقد ورد اسم هذين الملكين أجور ولموئيل في بعض النقوش المعينية وغيرها من النقوش العربية الجنوبية القديمة ^(٧) ومن المعروف أن العبريين تلقوا حكمة الشرق الأدنى القديم ومن بينها الحكمة المصرية والبابلية والعربية وأودعوها أسفار الحكمة في كتاب العهد القديم ^(٨) ، وبعد هذا العرض السريع لبعض نماذج من الأعمال الأدبية السامية التي سيطرت عليها الصفة العربية نطرح السؤال الآتي وهو : كيف وجدت المادة الأدبية العربية القديمة طريقها إلى الآداب السامية المختلفة ؟ وما هو شكل هذه المادة الأدبية ؟ وبالنسبة لشكل المادة الأدبية العربية التي دخلت في الآداب السامية نعتقد أنها اتخذت شكلين أساسيين أولهما : المادة الشفوية التي تم نقلها نقلاً شفوياً إلى الآداب السامية التي عرفت نظماً للكتابة في عصور مبكرة فنقلت هذه المادة العربية الشفوية إلى مادة مكتوبة بلغة سامية غير العربية فمثلاً بالنسبة لقصة أيوب انتشرت هذه القصة بين العرب في شكل رواية شفوية ، وعندما عرفها العبريون دونوها وسجلوها بعد إضافات يهودية إليها بهدف تهويدها وعبرنتها ، ثم تم ضمها إلى كتاب العهد القديم . ويجب هنا أن نشير إلى أن كثيراً من المواد التي لم تكن أصولها إسرائيلية محسومة واجهت صعوبات في عملية ضمها إلى الكتاب الديني المقدس عند اليهود ، وينطبق هذا على معظم كتابات الحكمة ، ومن بينها أيوب والأمثال والجامعة وراعوث .

أما الشكل الثاني الذي اتخذته المادة الأدبية العربية فهو الشكل الكتابي بمعنى أنه لا يستبعد إطلاقاً أن تكون هناك نصوص أدبية مكتوبة باللغة العربية تم نقلها وترجمتها إلى

إحدى اللغات السامية، وأصبحت فيما بعد تعد من التاج الأدبي للغة التي ترجمت إليها خاصة بعد أن نُسي مصدرها الأول، وبعد أن تلقت العديد من الصياغات الجديدة لتناسب طبيعة اللغة المنقولة إليها، وطبيعة الشعب السامي الذي تلقاها. وقد أدت هذه الصياغات إلى ضياع الأصول النصية لهذه القطع الأدبية باندماجها التام في النصوص الجديدة التي تمت صياغتها ولم يبق مما يدل عليها سوى بعض الألفاظ العربية والأساليب والصور البلاغية بالإضافة إلى بقايا من المحتوي والمضمون الأصلي للعمل الأدبي يظهر في ثنايا البنية الجديدة كما يظهر من خلال المناخ العام للعمل الجديد، وبقايا تدل على صفات الشخصيات الأساسية، وآثار باقية عن المكان الذي وقعت فيه الأحداث إلى غير ذلك من العناصر الأدبية واللغوية والتاريخية التي أفلتت بالصدفة أو عن غير قصد خلال الصياغة الجديدة للعمل الأدبي. وبقيت هذه العناصر كشهادة على الأصل الأول. ويبدو أنه لا أمل في استعادة النص الأصلي أو ما يقترب منه بسبب كثرة ما تعرضت له النصوص الأصلية من تغييرات وتعديلات، وبخاصة أن معظم هذه النصوص يدخل في دائرة الأدب الشعبي الذي تتعدد رواياته بتعدد رواته. وكذلك لأن عملية تدوين نص العهد القديم عملية استمرت لألف عام تقريباً حتى تم تثبيت هذا النص. وهي فترة طويلة تلقت فيها نصوص العهد القديم المئات من التعديلات والتغييرات والتحريفات مما أدى بالتأكيد إلى ضياع النصوص الأصلية. وهي عملية تعرضت لها التوراة على أهميتها الدينية المطلقة. فكيف الحال بنص أدبي كقصة أيوب التي تعتبر قيمته الدينية داخل العهد القديم ضعيفة بالنسبة لقيمة التوراة. هذا غير ما نتوقعه من تغيير في نص أدبي شعبي يتسم بالمرونة في موضوعه ولغته وأسلوبه بخلاف نص التوراة التشريعي الجامد في لغته، وما يتسم به من حساسية دينية مثيرة للجدل حول التغيير فيه بعكس النص الأدبي الذي يعطي فرصة أكبر للإبداع فيه من جانب الرواة بعيداً عن الحساسية الدينية وخاصة أن سفر أيوب مثلاً لا يشتمل على مادة دينية ذات قيمة كبيرة، كما أن سفر الأمثال يشتمل على حكم ومبادئ أخلاقية وبعيدة عن طابع الوصايا الدينية مما يسمح بإجراء التغيير فيها بما يتناسب وبيئتها الجديدة. وبعض الملاحم القديمة كملحمة جلجامش^(٩) تلقت هي الأخرى تعديلات وصياغات جديدة مارة بعصور مختلفة سومرية وبابلية وآشورية،

وترجمت إلى عدة لغات أجنبية قديمة أدت إلى مزيد من التحوير فيها ، ومن بينها ترجمات حيثية وحمورية وكنعانية ويونانية . وكلها ساعدت على الابتعاد عن النص الأصلي لها خاصة أن الملاحم مادة شعبية قابلة للتغيير في الرواية لتلبية مطالب بيتتها الجديدة .

وهذا ليس بطبيعة الحال حكماً على استحالة استعادة النصوص الأصلية في أقرب صورة ممكنة فمثل هذا العمل ممكن ولكنه يتطلب جهوداً علمية شاقة واستعدادات علمية خاصة ، فبتطبيق مناهج النقد المختلفة على النص الأدبي يمكن تصنيف مادته إلى عدة طبقات تعود إلى عدة مصادر ، ومن خلال عملية نقدية أدبية لغوية على النص يمكن الوصول إلى أقرب تصور قريب من النص الأصلي . هذا وقد تم تطبيق هذا النقد النصي على بعض نصوص كتاب العهد القديم بهدف استعادة النص الأصلي أو ما يقرب منه ، ويمكن الاستفادة من هذا في استعادة هذه النصوص العبرية المفقودة والموجودة في بعض الآداب السامية .

أما عن كيفية انتقال المادة العبرية إلى الآداب السامية المختلفة وخاصة إلى أدب العهد القديم فهناك وسائل متعددة منها وسيلة النقل الشفوي في بيئة سامية لم تعرف الحدود الجغرافية الفاصلة بين شعوبها ، ومنها الهجرات العبرية المتوالية إلى البيئة السامية في بلاد النهرين والمنطقة السورية بما فيها فلسطين ، وما تأتي به كل هجرة من مواد أدبية دخلت في آداب الشعوب السامية ، واكتسبت انتشاراً سريعاً بسبب شعبيتها وإنسانيتها - أي معالجاتها لموضوعات شعبية وقضايا إنسانية عامة - وكذلك لما تسببه عند المتلقي من إثارة ومتعة . وقد كانت التجارة بين الشعوب السامية إحدى وسائل انتقال المادة العبرية إلى البيئة السامية . ومن المعروف أن التجارة كانت العمل الرئيس للعرب الذين خرجوا في رحلات تجارية جابت معظم الشرق الأدنى القديم وأسست لها محطات تجارية نشأت عنها فيما بعد جاليات عربية في عدة مناطق من الشرق الأدنى ساعدت على انتشار موضوعات من التراث الأدبي العربي خارج بيئته في شبه الجزيرة العبرية . وقد حمل التجار العرب مع بضائعهم نماذج من ثقافتهم وفكرهم . هذا وقد كانت الترجمة إحدى الوسائل المهمة لانتقال النصوص الأدبية إلى الآداب السامية . فهناك آراء ترجح

كسفر أيوب والأمثال عملين عربيين ترجما إلى العبرية ودخلا في النتاج الأدبي العبري أو صيغا في قالب يهودي وبلغه عبرية . وقد ضم إلهود إلى كتابهم المقدس نماذج أدبية كثيرة من نتاج الشعوب الأخرى كالعرب والكنعانيين والفينيقيين والبابليين والآشوريين وهي ظاهرة مازالت مستمرة إلى يومنا الحالى ، وتظهر جلياً في نهب العديد من أنماط التراث العربي في فلسطين وإدخال تغييرات عليها من أجل تهويدها وضمها إلى التراث اليهودي .

وفي هذه الإشارة العابرة لأهمية العهد القديم في دراسة الأدب العربي القديم ما يحتاج إلى تفصيل شديد لا يتناسب مع حجم هذا البحث . ولذلك سنكتفي بالإشارة إلى عدد من الأمور المهمة التي تجعل من كتاب العهد القديم مصدراً مهماً من مصادر الحياة العربية القديمة ، بل ومصدراً مهماً من مصادر الأدب العربي القديم . والعهد القديم ملوء بالإشارات والموضوعات التي تشير إلى عرب شبه الجزيرة العربية مما يجعله بحق أحد المصادر الأساسية لتاريخ العرب وحياتهم وأنشطتهم . كما يوضح الدور الديني للعرب في صياغة ديانة بني إسرائيل ، ودورهم أيضاً في تشكيل جانب من الإنتاج الأدبي المنسوب إلى بني إسرائيل ، وهنا تظهر بالذات أهمية كتاب العهد القديم في التأريخ للأدب العربي القديم ، حيث اشتمل على قصص وروايات عربية الأصل وجدت طريقها إلى الأدب العربي القديم ، إما عن طريق الترجمة أو عن طريق التأييد المباشر لبعض القصص العربية ونسبته إلى بني إسرائيل بعد إدخال تعديلات عليه ليناسب حياة بني إسرائيل وظروفها . ومن الأعمال التي لاشك في أصلها العربي قصة أيوب عليه السلام الواردة في السفر الذي يحمل اسمه من بين أسفار العهد القديم^(١٠) . وكذلك تنسب أجزاء من سفر الأمثال إلى أصول عربية تؤكدها الأسماء العربية الواردة في السفر^(١١) ، كما تعكس قصة راعوث الموابية الواردة في سفر راعوث بعض الأخبار والعادات والتقاليد ذات الأصول العربية .

وعلى المستوى التاريخي تشير فقرات عديدة من التوراة وكتب الأنبياء إلى أحداث تاريخية تتعلق بالعرب خاصة في علاقتهم ببني إسرائيل كالروايات الخاصة بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، والإشارات إلى أقوام من العرب كالإسماعيليين والمدانيين

والقيدرايين والعمونيين ولمؤايبين وبعض القبائل السينائية والإدميين ، وكذلك الإشارة إلى أخبار عن جنوب شبه الجزيرة العربية كرواية ملكة سبأ وقصتها مع سليمان عليه السلام (١٢) .

وعلى المستوى الديني تفيد التوراة وبقية كتاب العهد القديم في التعرف على بعض الأنشطة الدينية للعرب من بينها التعرف على طبيعة الحياة الدينية عند العرب ، وذلك من خلال ما تقدمه التوراة من وصف عام للوثنية في البيئات المحيطة بمنطقة فلسطين ، وما توجهه التوراة من نقد للديانة الوثنية وللطقوس والعادات الدينية الوثنية سواء في تمييزها لديانة بني إسرائيل عن شعوب أخرى من بيئة الشرق الأدنى القديم كالمصريين القدامي ، وقبائل شبه جزيرة سيناء العربية والكنعانيين والآشوريين والبابليين والفرس والآراميين واليونان ، وكلها شعوب تركت آثارها الدينية على بني إسرائيل ، وفي واحدة من مناسبات الاتصال الديني بين الإسرائيليين والعرب في شبه جزيرة سيناء يتبنى الإسرائيليون عبادة الإله (يهوه) والذي يري بعض النقاد أنه إله عربي قديم عرفه موسى عليه السلام خلال فترة وجوده في سيناء بعد زواجه من امرأة عربية هي ابنة كاهن مدياني حسب تصور التوراة (١٣) ، والذي تروي المصادر أنه أدخل موسى في عبادة يهوه الذي أصبح فيما بعد الإله الإسرائيلي الواحد ، والذي كان من قبل إلهاً للمديانيين أو إلهاً لإحدى القبائل العربية الشمالية . ويوصف بأنه إله صحراوي بسيط في صفاته وفي الشعائر المرتبطة ، به والتي لم تكن لتزيد عن بعض المناسبات الدينية البسيطة التي تقدم فيها الأضحيات وتحرق فيها المحرقات ، وكان مقامه في إحدى الخيام (١٤) وهي صفات موجودة في الإله يهوه الذي أصبح إله الإسرائيليين في سيناء ، وبعد دخولهم كنعان حسب الوصف التوراتي له . وتوضح أيضاً التأثير العربي القديم على ديانة بني إسرائيل خاصة في مرحلتها البدوية الصحراوية وقبل أن يختلط العبريون بالبيئات الزراعية في مصر وكنعان وبلاد النهرين .

وعلى المستوى الأدبي يفيد كتاب العهد القديم كثيراً في التعريف بجوانب من الحياة الأدبية والانتاج الأدبي للعرب قديماً . فبالإضافة إلى ما سبق قوله من وجود نصوص أدبية عربية قديمة عرفت طريقها إلى كتاب العهد القديم عن طريق الترجمة أو غيرها من وسائل

الاتصال الأدبي بين الشعوب ، يمكن أن نضيف أهمية الأدب العبري القديم في علاج بعض قضايا ومشاكل الأدب العربي القديم منها على سبيل المثال قضية كتابة التاريخ العربي القديم ، والتي يمكن أن تعتمد على العهد القديم في العودة بهذا التاريخ الأدبي للعرب إلى عصور قديمة سابقة على عصر العهد القديم ذاته . ويمكن الاستدلال على هذا التاريخ القديم للأدب العربي بما ورد في العهد القديم من مادة أدبية تشير إلى أصول عربية كما أن مسألة عدم وجود نصوص أدبية عربية قديمة يمكن أن تعالج من داخل أدب العهد القديم وأدب الساميين عامة . هذا بالإضافة إلى أن مسألة تطور الشعر العربي والتعرف على المراحل القديمة لهذا التطور يمكن الوصول إلى بعض الرأي فيها من خلال دراسة الأجزاء الشعرية في العهد القديم ، ومقارنتها بالشعر العربي من حيث الشكل أو البناء والخصائص الفنية في معرفة تطور الشعر العبري . إن بعض أجزاء من هذا الشعر العبري وردت في أسفار يشك في أصلها العبري ، وتمت نسبتها إلى أصول عربية مفقودة مثل سفر أيوب الذي لو أخذنا بنظرية الأصل العربي له لأصبح لازماً بالضرورة النظر إلى الأجزاء الشعرية الواردة فيه على أنها ربما تمثل نماذج شعرية عربية قديمة تفيد في معرفة تطور الشعر العربي (١٥) .

وأخيراً نود أن نشير إلى أن أدب العهد القديم والأدب السامي القديم عامة يمكن أن يكون ذا فائدة كبيرة في الكشف عن ظاهرة الانتحال . إن الدرس الديني السامي المقارن له قيمته العلمية الكبرى كمقياس نقدي للكشف عن مدي صحة ظاهرة الانتحال أو عدم صحتها ، ومع ذلك لم يعتمد عليه طه حسين في تحليله لقضية الانتحال على الرغم مما ذكرناه من اهتمام طه حسين الكبير بالآداب السامية واعترافه بأهميتها في درس الأدب العربي ، وأيضاً على الرغم من اهتمامه بالمنحي المقارن في الدراسة الأدبية . إن قضية الانتحال في حاجة ماسة إلى إعادة النظر في جوانبها الدينية من وجهة نظر سامية دينية مقارنة . وهو جانب لم يتم في مناقشة قضية الانتحال في الأدب العربي القديم عند طه حسين . ونعتقد أن توجيه الاهتمام إلى هذا الجانب الديني في الانتحال من وجهة نظر سامية سيأتي بآراء مغايرة لما توصل إليه طه حسين في هذه المسألة . فالموضوعات الدينية التي اعترض طه حسين على وجودها في الشعر العربي القديم خاصة عند أمية بن

الصلت ، واعتبرها من باب الانتحال^(١٦) ، موضوعات منتشرة في الأدب السامي القديم خاصة في الأدب العبري القديم . وهي موضوعات ليست غريبة على البيئة الدينية السامية التي تعتبر البيئة العربية أصلاً وامتداداً لها في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام . وربما يؤخذ على طه حسين أنه رغم اعترافه بأهمية الآداب السامية القديمة في دراسة الأدب العربي القديم فإنه نفسه لم يحاول الاستفادة من هذه الآداب السامية القديمة فيما يتعلق بموضوعات الانتحال . ولذلك لا يزال باب البحث في موضوعات الانتحال مفتوحاً لإعطاء الرؤية السامية في هذا الموضوع الخطير الذي يُعتبر الأدب الديني السامي عاملاً نقدياً حاسماً في تحديد هوية الشعر الديني العربي القديم ، بالإضافة إلى ما يمكن أن يؤدي إليه مثل هذا البحث في طبيعة الشعر الديني العربي القديم عند أمية بن الصلت - وأمثاله من شعراء الجاهلية - من إظهار لدرجة التفاعل بين الأدب العربي القديم والآداب السامية القديمة .

ثانياً : استعادة التراث العربي المكتوب في اللغة العبرية الوسيطة :

لقد سادت في العصر الوسيط ظاهرة نقل أعمال من التراث العربي العلمي والأدبي إلى بعض الخطوط السامية الأخرى ، ومن أهمها الأعمال التي نقلت إلى الخط العبري بواسطة العلماء إليهود ، والتي غطت تقريباً معظم مجالات الإنتاج العربي على مستوى العلوم التجريبية والعلوم النظرية (ومن بينها علوم الدين والأدب والفلسفة والأخلاق) .

ويمثل هذا التراث العربي شريحة مهمة من الأعمال والكتابات اليهودية التي استخدم فيها كتابها إليهود اللغة العبرية المدونة بالخط العبري ، فأصبحت هذه الأعمال متاحة للقاريء العربي إليهودي الذي يعرف الأبجدية العبرية ، ويستطيع قراءة العربية بالخط العبري بينما حُرِّم القاريء العربي من قراءة هذه الأعمال التي تنتمي إلى تراثه العربي . ويحتاج الأمر إلى ضرورة نقل هذه الأعمال العربية من الخط العبري إلى الخط العربي لاسترداد هذا التراث العربي المفقود بعد أن ظل قروناً بعيداً عن متناول القاريء العربي .

ويمكن تصنيف هذا النوع من الأعمال العربية المدونة بالخط العبري إلى نوعين :

١ - أعمال تتناول موضوعات عربية خالصة .

٢ - أعمال تتناول موضوعات يهودية خالصة .

وقد لجأ العلماء إلى اليهود في العصر الوسيط إلى هذا الأسلوب في نقل التراث العربي ، وذلك لإثراء الثقافة اليهودية بموضوعات من التراث العربي الذي نشأوا في بيئته وتأثروا به . ويمكن تصنيف الأعمال العربية المدونة بالخط العبري إلى ثلاثة أنواع : أعمال مؤلفة باللغة العربية ومدونة بالخط العبري ، وأعمال منقولة من الخط العربي إلى الخط العبري . والصنف الثالث يتكون من الأعمال العربية التي تمت ترجمتها إلى اللغة العبرية . وهذه لها قيمة علمية كبيرة ، وتظهر أهميتها في أنها في بعض الأحيان ترجمة عبرية لأعمال من التراث العربي فقدت أصولها العربية ، وأصبحت لا توجد إلا في الترجمة العبرية ، والمثال الكبير على هذا الترجمة العبرية لكتاب ابن رشد (شرح جمهورية أفلاطون) .

أما الأهمية الثانية فتبدو في أن هذه النصوص العربية المدونة بالخط العبري هي بمثابة نسخ عربية أخرى للأصل العربي المخطوط ، ويمكن إضافتها إلى النسخ العربية الموجودة فعلاً ، والاستفادة منها في عملية تحقيق ونشر النص العربي الأصلي ، هذا بالإضافة إلى فائدتها في التعريف بتاريخ الأصل العربي بل وتاريخ النسخ العربية الأخرى ، وتأثير الثقافة العربية في الثقافة اليهودية .

أما الأعمال التي تتناول موضوعات يهودية خالصة فهذه تحسب ضمن التراث العربي لأنها مكتوبة باللغة العربية رغم استخدام الخط العبري ، كما تحسب أيضاً ضمن التراث اليهودي لأن موضوعها يهودي . وهذه الأعمال تنقسم أيضاً إلى قسمين : أعمال يهودية لها أصول عربية ، وتم نقلها بالخط العبري مثل أعمال كبار علماء اليهود في العصر الوسيط مثل سعديا الفيومي وموسي بن ميمون وكثير من علماء القرائين والسامريين ، وهناك أعمال يهودية ليس لها أصول عربية وكتبت مباشرة بالخط العبري ، ويغلب هذا الأمر على أعمال الفرق اليهودية مثل فرق القرائين والسامرة (١٧) .

ويمكن في هذا الشأن أيضاً توجيه الاهتمام إلى الأعمال العربية التي ألفها يهود، وفي موضوعات غير يهودية مثل الأعمال الأدبية والعلمية والفلسفية والأخلاقية . وهذه تدخل في التراث العربي لكونها مكتوبة باللغة العربية ولاتعالج موضوعات يهودية بل تتناول موضوعات في التراث العربي العلمي والأدبي .

وتأتي في المرتبة الأخيرة الأعمال المكتوبة بالعربية وبالخط العربي ولكنها تعالج موضوعات يهودية . وهي على الرغم من يهودية موضوعاتها فإنها تدخل في التراث العربي المدون بالعربية ، وتظهر أهميتها في الاستدلال على قدرة اللغة العربية على التعبير عن الموضوعات اليهودية الخاصة مثل الموضوعات الدينية المرتبطة بالتفسير اليهودي أو بالتشريعات والعبادات والشعائر والطقوس وغير ذلك من الموضوعات الدينية ، التي تجعلنا نحكم في النهاية بأن اللغة العربية أصبحت لغة دينية لليهود في زمن مات فيه اللغة العبرية كلغة حديث وكتابة لدى جمهور اليهود في العالم العربي في العصر الوسيط .

أهم الأعمال العربية المترجمة إلى اللغة العبرية :

١ - ترجمات أبراهام بن عزرا (١١٤٠-١١٤٦ م) ، وهو يهودي أندلسي اشتغل بالترجمة من العربية إلى العبرية : ومن أهم ترجماته :

- ثلاث رسائل في النحو .

- رسالتان في التنجيم لما شاء الله .

- تعليق البيروني على جداول الخوارزمي .

٢ - ترجمات إبراهيم برهياً (١١٣-١١٥٠ م) يهودي أندلسي^(١٨) . ترجم من العربية إلى العبرية :

- رسالة في الموسيقى .

٣- يوسف قمحي (١١٥٠ م) يهودي أندلسي :

- كتاب الهداية إلى فرائض القلوب لبهاء بن يوس (الأخلاق) .

٤ - يهوذا بن طَبُون (١١٥٠-١١٨٠ م) يهودي أندلسي :

- ترجم لسعديا بن يوسف الفيومي كتاب الأمانات والاعتقادات .
- ترجم لابن جبيرول كتاب إصلاح الأخلاق .
- ترجم لابن يونا كتاب اللُّمَع (في النحو) وكتاب الأصول (معجم) .
- ترجم ليهودا هاليفي كتاب الحُجَّة والدليل في نصره الدين الذليل ^(١٩) .
- ٥ - ابن حَسْدَاي (١٢٢٥-١٢٤٠ م) يهودي أندلسي ترجم :
- كتاب التفاحة .

- ميزان العمل (للغزالي) رسالة في الأخلاق .

- رسالتان لابن ميمون في المحرمات والواجبات .

٦- صموئيل بن طَبُون حوَّلى إلى ١٢٠٠ م يهودي أندلسي :

- ترجم النص العربي للآثار العلوية لأرسطو ترجمة يحيى بن البطريق .
- شرح على بن رضوان للمدخل في الطب لجالينوس .
- ثلاث رسائل صغيرة لابن رشد (من تلخيصاته الفلسفية) .
- دلالة الحائرين لموسي بن ميمون .
- رسالة في البعث لابن ميمون .
- الأركان الثلاثة عشر لابن ميمون
- رسالة ابن ميمون إلى تلميذه يوسف بن أقيني ^(٢٠) .

٧- يعقوب أناتولي (١٢٣٠-١٢٥٠ م) يهودي فرنسي ، ترجم من العربية واللاتينية إلى العبرية :

- تعليقات ابن رشد على ايساغوجي فورفوريس وعلى مقالات أرسطو .
- المجسطي لبطليموس .
- تلخيص ابن رشد لمجسطي .
- كتاب الحركات السماوية للفرغاني .
- رسالة في المنطق للفارابي ^(٢١) .

٨ - سليمان بن أيوب يهدي أندلسي (النصف الثاني من القرن الثالث عشر) :

- كتاب الفرائض لموسي بن ميمون .

- كتاب التنبيه لابن يونا (متي بن يونا) .

- كتاب التسوية لابن يونا .

- تلخيص ابن رشد لكتاب السماء لأرسطو .

- الأرجوزة لابن سينا (في الطب) (٢٢) .

٩ - شيم طوف بن إسحاق يهودي أندلسي ترجم :

- تلخيص ابن رشد (الوسيط) لكتاب الروح لأرسطو .

- كتاب التصريف (في الطب) لأبي القاسم الزهراوي (١٢٥٨ م) .

- كتاب المنصوري للرازي (عشرة كتب في العلم الإغريقي) .

- الحكم لأبوقراط (٢٣) .

١٠ - زراحيا جرشيان - يهودي أندلسي :

- ترجم لأرسطو من العربية إلى العبرية : الطبيعة ، ما بعد الطبيعة ، السماء والعالم

- الروح .

- شرح ثمسطيوس لكتاب السماء لأرسطو .

- رسالة أفلاطونية محدثة في العلل (الأسباب) والأعراض .

- رسالة الفارابي في طبيعة الروح .

- تلخيص ابن رشد للطبيعة وما بعد الطبيعة والسماء لأرسطو .

- الكتابان الأولان من قانون ابن سينا .

- بعض نصوص لجالينوس ترجمها إلى العربية حنين بن إسحاق (٢٤) .

١١ - موسي بن طبون (١٢٤٠ - ١٢٨٣ م) يهودي فرنسي ، ترجم من العربية إلى

العبرية :

ترجم من تلخيصات ابن رشد لأرسطو :

- كتاب السماع الطبيعي .
- كتاب السماء والعالم .
- كتاب الكون والفساد .
- كتاب الآثار العلوية .
- كتاب النفس .
- كتاب الطبيعة .
- تلخيص مابعد الطبيعة .
- شرح ثمسطيوس للكتاب الأول من مابعد الطبيعة من النسخة العربية لإسحاق بن حنين (حقيق ومراجعة ثابت بن قره) .
- كتاب الحداثق للبطلوسي (مفقود في العربية) .
- كتاب المباديء للفارابي (رسالة في الفلسفة والأخلاق) .
- كتاب السراج لموسي بن ميمون .
- كتاب السموم لموسي بن ميمون .
- مقالة في صناعة المنطق لموسي بن ميمون .
- الأصول (العناصر) لإقليدس .
- الفلك لحمينوس .
- كتاب الهيئة لجابر بن أفلح (إصلاح المجسطي) .
- رسالة في الحساب والجبر لمحمد الحصار .
- كتاب الهيئة للبترجي .
- مسائل الطبيعيات لأرسطو من النسخة العربية لحنين بن إسحاق .
- الأرجوزة لابن سينا مع شرح ابن رشد .
- القانون الصغير لابن سينا .

- زاد المسافر لابن الجزار .
- بعض مؤلفات طيبة لحنين بن إسحاق .
- كتاب الأقرباذين (ضد السموم) للرازي .
- كتاب التقسيم والتشجير (تقسيم العلة) للرازي
- مقالة في تدبير الصحة لابن ميمون .
- السموم والمتحرّز من الأدوية القاتلة لابن ميمون .
- شرح حكم أبو قراط لابن ميمون^(٢٥) .
- ١٢ - يعقوب بن ماهو بن طُبُون يهودي فرنسي ترجم من العربية إلى العبرية :
- كتاب الكرة المتحركة (حركة الأجسام السماوية) لإسحاق بن حنين وقسطا بن لوقا .
- الأصول لإقليدس .
- كتاب المفردات لإقليدس .
- كتاب العمل بالكرة الفلكية لقسطا بن لوقا .
- في هيئة العالم لابن الهيثم .
- كتاب العمل بالأسطرلاب لابن الصفار .
- كتاب العمل بالصفحة الزيجية .
- ميزان العمل للغزالي .
- إصلاح المجسطي لجابر بن أفلح .
- تلخيص الأورجانون لابن رشد .
- تلخيص ابن رشد لكتاب الحيوان لأرسطو^(٢٦) .
- ١٣ - ناثان الهاميتي يهودي إيطالي ترجم من العربية إلى العبرية :
- حكم أبو قراط مع شروح جالينوس .

- قانون ابن سينا .
- المنتخب في علاج العين لعمار بن علي الموصلي .
- رسالة في القصد للرازي .
- التصريف لأبي القاسم (رسالة في التشريح والتوليد) .
- كتاب الأغذية لابن زُهر (٢٧) .
- ١٤ - صموئيل بن يعقوب يهودي إيطالي ترجم من العربية إلى العبرية :
 - رسالة في الأدوية لماسويه المارديني .
- ١٥ - قالونيموس بن داود الأكبر يهودي فرنسي من النصف الأول من القرن الرابع عشر ترجم من العربية إلى العبرية :
 - تهافت التهافت لابن رشد .
- ١٦ - قالونيموس بن قالونيموس يهودي فرنسي ترجم من العربية إلى العبرية :
 - رسالة في الكرة والأسطوانة لأرشميدس من النسخة العربية لقُسْطا بن لوقا .
 - أرشميدس رسالة ترجمها ثابت بن قرة .
 - جغرافية بطليموس .
 - بعض أعمال جالينوس (ترجمة حنين بن إسحاق) .
 - رسالة في السموم لجابر بن حيان .
 - رسالة في المواليد للكندي .
 - الآثار العلوية للكندي .
 - رسالة الكندي في الرطوبة والمطر .
 - كتاب المدخل في الطب لحنين بن إسحاق .
 - كتاب في العقل والمعقول للفارابي .
 - كتاب إحصاء العلوم للفارابي .

- كتاب فيما ينبغي أن يقدم قبل تعليم الفلسفة للفارابي .
- رسالة لإخوان الصفا في مقارنة أنواع من الحيوان والإنسان .
- كتاب العمد في أصول الطب لعلی بن رضوان .
- رسالة في الاسطوانات والمخروطات لابن السمع .
- الشرح أو التفسير لابن رشد .
- التلخيص لابن رشد .
- الجامع لابن رشد .
- رسالة في المثلث لأبي سعدان .
- تهافت التهافت لابن رشد (من العبرية إلى اللاتينية) (٢٨) .
- ١٧ - صموئيل يهودا المارسيلى ترجم من العربية لي العبرية من النصف الأول من القرن الرابع عشر :
- شرح ابن رشد لجمهورية أفلاطون .
- الجامع لابن رشد (أورجانون أرسطو) .
- أورجانون أرسطو (ترجمة مسائل غامضة في تلخيص ابن رشد) .
- الأخلاق لأرسطو (ترجمة تلخيص ابن رشد) .
- بطليموس تلخيص ابن رشد للأجزاء ١ - ٣ من المجسطي .
- رسالة في الخسوف الكلي الذي وقع سنة ١٠٧٩ م لأبي عبد الله بن محمد بن معاذ الأشبيلي .
- رسالة في حركة النجوم الثابتة للزرقالي .
- تلخيص ابن رشد لأفلاطون وأرسطو وبطليموس (٢٩) .
- ١٨ - تودروس التودروسي يهودي فرنسي ترجم من العبرية إلى العبرية :
- كتاب عيون المسائل للفارابي (فلسفة أرسطو) .

- كتاب النجاة لابن سينا (تلخيص لفلسفة أرسطو) .
- تلخيص ابن رشد للخطابة لأرسطو .
- تلخيص ابن رشد لكتاب الشعر .
- ثلاث رسائل لابن رشد (في أشكال الكون وفي علم الغيب) .
- رسالة في الفكر المادي لابن رشد (٣٠) .
- ١٩ - سليمان بونيراك يهودي إيطالي ترجم من العربية إلى العبرية :
- بعض أعمال جالينوس المترجمة إلى العربية بواسطة حنين بن إسحاق .
- ٢٠ - سليمان بن باطر يهودي قشتالي ترجم من العربية إلى العبرية :
- كتاب في هيئة العالم لابن الهيثم .
- ٢١ - إسحاق بن ناثان القرطبي يهودي أندلسي ترجم من العربية إلى العبرية :
- رسالة للغزالي في مسائل سئل عنها .
- مقالة في التوحيد لابن ميمون .
- تعليق محمد التبريزي على مقدمة الجزء الثاني من دلالة الحائرين لابن ميمون .
- رسالة في ضرورة الوجود ليوسف بن أقنين (٣١) .
- ٢٢ - سموأل بن سليمان الهاميتي يهودي إيطالي ترجم من العربية إلى العبرية :
- شرح جالينوس لكتاب الحماية من الأمراض الحادة من النسخة العربية لحنين بن إسحاق " تفسير كتاب تدبير الأمراض الحادة " .
- مصباح الشفاء لابن زهر .
- ٢٣ - يوسف بن يشوع اللورقي يهودي أندلسي ترجم من العربية إلى العبرية (النصف الثاني من القرن الرابع عشر) :
- مراجعة الترجمات العبرية السابقة لرسالة ابن ميمون في المنطق .
- جزء من قانون ابن سينا .

- رسالة في قوي وصفات الأطعمة والأدوية المفردة والمركبة (مفقود في العربية)
ليوسف بن يشوع اللورقي (٣٢) .
- ٢٤ - داود بن يعيش يهودي أندلسي :
 - النسخة العربية من الرسالة الإغريقية في تدبير المنزل (مفقود في اليونانية) .
- ٢٥ - يهودا بن سليمان ناثن يهودي فرنسي ترجم من العربية إلى العبرية :
 - كتاب الأدوية المفردة لأمية ابن أبي الصلت .
 - مقاصد الفلاسفة للغزالي .
 - كتاب الوساد لابن وافد . . (٣٣)
- ٢٦ - صموئيل بن موطوب يهودي قشتالي :
 - كتاب الحقائق لعبد الله بن محمد البطليوسي (مفقود في العربية) .
 - كتاب العقيدة الرفيعة لأبراهام بن داود هاليفي (٣٤) . .

الأعمال العربية المدونة بالحرف العبري :

يشتمل هذا النوع بالتقريب على معظم المؤلفات اليهودية العربية التي حرص اليهود على نقلها إلى الخط العبري . وتشتمل هذه المؤلفات على أعمال عربية كتبت أصلاً بالحرف العربي وتم نقلها إلى الحرف العبري فأصبحت موجودة في الخطين العربي والعبري .

وهناك أعمال عربية لم تكتب أصلاً بالحرف العبري بل كتبت مباشرة بالحرف العبري . ويجب أن نشير هنا إلى أن اليهود حرصوا في كل بلد عاشوا فيه على تطوير أسلوب للكتابة لا يعرفه إلا اليهود فقط . وهذا الأسلوب هو التأليف بلغة البلد الذي يعيشون فيه مع تدوين هذه المؤلفات بالخط العبري حتي لا يقرأها إلا من يعرف هذا الخط . وقد نشأ عن هذه الظاهرة ما يسمى بالكتابة العربية اليهودية Judeo - Arabic والكتابة الفارسية اليهودية Judeo - Persian وغير ذلك . وهو أشبه بنظام سري للكتابة يستخدم في الموضوعات اليهودية الخالصة (٣٥) .

وقد دونت بالكتابة العربية اليهودية كل أعمال كبار علماء اليهود من العصر الإسلامي أمثال سعديا الفيومي وموسي بن ميمون ويهودا اللاوي وأبراهام بن عزرا وسليمان بن جبيرول وغيرهم^(٣٦).

الخاتمة والتوصيات :

تشير بعض نصوص الآداب السامية القديمة إلى أصول عربية وجدت طريقها إلى الآداب السامية ، وأصبحت تكون عنصراً أساسياً في بنية الأدب السامي القديم . وتشير هذه الآداب السامية إلى وجود بقايا نصوص وآثار أدبية عربية قديمة تتطلب منا إعادة قراءة لهذه الآداب .

وهناك عدة نماذج أدبية تشير إلى وقوع تأثير عربي مباشر ونأخذ على هذا مثالين واضحين ، الأول من أدب العراق القديم ويتمثل في ملحمة جلجامش التي تعكس تأثيراً عربياً بدوياً صحراوياً كبيراً على بيئة العراق الزرعية ، وتوضح الملحمة انتصار القيم العربية البدوية على القيم الزراعية ، وتعكس في نفس الوقت تغير مفهوم البطولة ، وتشير إلى المسار التاريخي من البداوة إلى الحضارة وكيفية دخول العرب البدو في حضارة بلاد النهرين ، وعملية تكيفهم مع البيئة الجديدة ، وتكوين إنسان جديد في بلاد النهرين يجمع بين قيم البادية وقيم المدينة ، ويجمع بين الفطرة العربية والشكل الحضاري المعقد الذي تمثله البيئة الزراعية .

وتعتبر ملحمة جلجامش أثراً عربياً قديماً يحدد طبيعة الشخصية العربية قبل وبعد اندماجها في البيئة الزراعية . وقد اعتبرها نجيب محمد البهيتي أقدم ملحمة عربية ، ووضع كتاباً عنوانه المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ " واعتبرها ملحمة شعرية أو قصيدة عربية وأقدم معلقة عربية مقطوع بتعليقها في خزانة قصر الملك أشوير بانيبعل ٦٦٨-٦٢٦ ق.م وأن الشعر القديم كان قصصياً . ويقارن المؤلف قصيدة جلجامش بقصيدة طرفة بن العبد .

ألا أيها الزاجري أحضر الوغي وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلدي

فإن كنت لا تستطع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

وتظهر الثقافة العربية واضحة في قسم المكتوبات من العهد القديم ، والذي تعرف أسفاره عامة بأسفار الحكمة . ومن بين هذه الأسفار سفران يعكسان أصولاً عربية قوية ، الأول سفر أيوب والثاني سفر الأمثال . وبالنسبة لسفر أيوب فقد اعترف بعض علماء العهد القديم بأن السفر يعكس خلفية عربية قوية . وقد عرف جيزنيوس في معجم العهد القديم أيوب بأنه عربي ، كما كتب المستشرق الفرد جيوم مقالاً بعنوان الخلفية العربية لسفر أيوب " وكتب عالم العهد القديم هـ . فوستر مقالاً بعنوان : هل سفر أيوب ترجمة عن أصل عربي ؟ " كما أكد هذه الصلة المستشرق مرجوليوت في كتابه عن " العلاقات بين العرب والإسرائيليين القدامي قبل ظهور الإسلام " ، وكذلك المستشرق جيمس مونتهجيري في كتابه بعنوان " الجزيرة العربية والكتاب المقدس " وتتفق هذه المصادر على أن سفر أيوب صياغة يهودية لقصة أيوب العربية ، وأن هذه الصياغة تشتمل في بنيتها على أصل عربي مفقود ، ويتطلب الأمر دراسة أدبية نقدية تعزل المادة اليهودية عن المادة العربية للوصول إلى تصور أولي للقصة العربية ذات الأصول العربية .

ويعكس سفر الأمثال كثيراً من الآثار العربية ، وقد رد بعض نقاد العهد القديم الأجزاء الأخيرة منه إلى أصول عربية حيث وردت أسماء عربية لها ما يقابلها في نقوش عربية جنوبية وبخاصة النقوش المعينية مثل (مسا وأجور) من الإسماعيليين . ومن الدراسات المهمة التي أثبتت الأصول العربية لسفر الأمثال دراسة سكوت عن سفري الأمثال والجامعة ، ودراسة فيليب حتي عن تاريخ العرب ومونتهجيري عن الجزيرة العربية والكتاب المقدس ، ومن الدراسات العربية دراسة للدكتور عبد المجيد عابدين : الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى ، ودراسة د . محمود المراغي : الصورة الأدبية بين أسفار المكتوبات والأدب الجاهلي .

ومثل هذه النصوص الواردة في العهد القديم انتقلت إلى اليهودية من مصادرها العربية الشفوية ، وقام اليهود بتدوينها وإضافتها إلى العهد القديم بعد تهويدها وعبرنتها . ومثل هذه المواد الأدبية أصولها اليهودية غير محسومة ، وقد واجهت صعوبات شديدة عند ضمها إلى كتاب العهد القديم بسبب غرابة مادتها وخروجها على الطابع اليهودي العام للعهد القديم .

ومن خلال عمليات النقد الأدبي مثل النقد النصي والمصدري يمكن استعادة هذه النصوص العربية بتخليصها من عناصرها اليهودية من خلال عملية نقدية أدبية لغوية تطبق على النص العبري للوصول إلى أقرب تصور ممكن للنص العربي الأصلي .

وتوصي هذه الدراسة بما يلي :

١ - الاهتمام بإحياء التراث العربي لتثبيت الهوية العربية في العصر الحديث ومقاومة التأثير الثقافي للعولمة .

٢ - الاهتمام بدراسة التراث العربي الموجود في الآداب غير العربية مثل الأدب العبري القديم والوسيط والأدب السرياني والأدب الحبشي .

٣ - نقل التراث العربي المدون بخطوط غير عربية إلى الخط العربي وبخاصة التراث العربي المدون بالخطين العبري والسرياني (الكرشوني) .

٤ - استعادة نصوص التراث العربي التي فقدت أصولها في اللغة العربية وبقيت موجودة في الترجمات العبرية ، وذلك من خلال إعادة ترجمتها إلى اللغة العربية . وتساعد القرابة اللغوية بين العربية والعبرية في الوصول إلى أقرب صورة ممكنة للنص العربي المفقود .

٥ - قراءة بعض نصوص العهد القديم وبعض نصوص الآداب السامية القديمة قراءة عربية في محاولة للكشف عن بعض النصوص العربية القديمة التي استوعبتها آداب سامية أخرى مثل سفر أيوب وسفر الأمثال وملحمة جلجامش وغيرها .

٦ - النظر إلى النصوص العربية المدونة بالخط العبري على أنها تمثل نسخاً إضافية إلى النسخ العربية المخطوطة للعمل العربي الواحد . وهنا تظهر أهمية النسخ المدونة بالخط العبري في عملية تحقيق النصوص العربية ونشرها وبخاصة لأن بعضها أقدم من بعض النسخ العربية المدونة بالخط العربي وربما تكون أكثر فائدة في عملية التحقيق .

- ٧ - دعم مراكز تحقيق التراث العربي وإنشاء مراكز جديدة ، وتوجيه بعض المراكز النوعية المتخصصة إلى الاهتمام بنشر التراث العربي في الآداب الأخرى .
- ٨ - الاهتمام بتأهيل متخصصين في تحقيق المخطوطات ونشرها .
- ٩ - تخصيص بعض رسائل الماجستير والدكتوراه لتحقيق النصوص ودراسة المخطوطات .

الحواشي والمراجع

(١) تعود الأصول السامية للبابليين والآشوريين إلى الهجرات البدوية العربية من شبه الجزيرة العربية إلى وادي بلاد النهرين التي أدت حوالي ٥٣٢ ق. م. إلى تمام السيطرة السامية (العربية) بقيام دولة (أكد) على يد سرجون مؤسس أول دولة سامية في بلاد النهرين .

انظر : S.Moscati, The Face of the Ancient Orient P.60 De Lacy O'Leary, Arabic Thought and its Place in History, Routeledge and Kegan Paul, London, 1968, P. 61 .

(٢) انظر تفاصيل ذلك في كتابنا : (الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم ، دراسة في ملحمة جلجامش) دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ١٩٨٨ م . وانظر أيضاً ليو أوبينهايم : (بلاد ما بين النهرين) ، ترجمة سعدي فيضي عبدالرازق بغداد ، دار الرشيد للنشر . مشورات وزارة الثقافة والإعلام . ١٩٨١ م ، ص ٤٧-٤٩ .

(٣) انظر A. Guillaume, " The Arabic Background of the Book of Job" in Promise and Fulfilment : Essays Presented to S.H.Hooke, 1963, PP. 106- 127

ولنفس المؤلف انظر :

Studies in the Book of Job, 1968

وكذلك رأي فوستر الذي رجح كون سفر أيوب ترجمة عن العربية " H.Foster, Is the book of Job a translation from an Arabic Original? AJSL 49, 1932 - 33, PP. 21 - 45 .

(٤) D.S. Margoliouth, The Relations Between Arabs and Israelites Prior to The Rise of Islam, Oxford Univ. Press, 1924, P. 32.

وانظر أيضاً : الرأي المشابه لجيمس مونتجمري في

James A. Montgomery, Arabia and the Bible, Ktav. House, 1969, P. 172.

R.B.Y. Scott, Proverbs and Ecclesiastes, the Anchor Bible, Doule, (٥) Doubleday and Co. N.Y.1965 , P. 176 .

(٦) التكوين ١٢ : ٢٥ - ١٤ .

Philip Hitti, History of the Arabs, 9th edition, Macmillan , London, (٧) 1968, P. 43.

وانظر أيضاً : . Arbia and the Bible, P. 171

وكذلك أيضاً : The Relations between the Arabs and Israelites, P. 30-31

(٨) الأمثال في النثر العربي القديم ص ١٣٤ . وعن الآثار العربية في سفر الأمثال انظر : د. محمود أحمد حسن ، الصورة الأدبية بين أسفار المكتوبات والأدب الجاهلي . رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب عين شمس ١٩٨٤ م ، ص ٣٩٥-٣٩٧ .

(٩) ن . ك . ساندروز : ملحمة جلجامش . تحقيق وترجمة إلى الإنجليزية . ترجمه إلى العربية محمد نبيل نوفل وفاروق حافظ القاضي .

D.S.Margoliouth, The Relations between Arabs and Israelite Prior to (١٠) the Rise of Isam, Oxford Univ. Press, 1924, P. 32 .

(١١) خاصة الإصحاحان ٣٠ ، ٣١ حيث فيهما ذكر شخصيتين اعتقد أنهما عريان الأول أجر بن مئقية مساً والثاني لمونيل ملك مساً .

(١٢) انظر مثلاً : التكوين ١٢: ٢٥-١٨ عن اسماعيل وذريته ، ٣٧: ٢٥-٣٠ أخبار عن الإسماعيليين والمديانيين ، الخروج ٢: ١٥-٢٢ ، ١-٣ أخبار أهل مدين وزواج موسي عليه السلام من ابنة يثرون (شعيب القرآن الكريم) وكاهن مدين حسب رواية التوراة . إرميا ٤٨ ، ٤٩ أخبار عن الفلسطينيين والموابيين والأدوميين والقيداريين . أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٩ يتناول قصة ملكة سبأ مع سليمان . كما وردت نفس القصة مع بعض الاختلافات في سفر الملوك الأول في الإصحاح العاشر .

(١٣) سفر الخروج ٣: ١ - ١٨ : ١٠-٢١؛ وانظر . Hitti, History of the Arabs, P. 40.

(١٤) الخروج ٣ : ١٨ ، ١ : ٥ ، سفر العدد ١٠ : ٣٥-٣٦ .

وانظر كذلك : Hitti, P. 40 .

James A. Montgomery, Arabia and the Bible, Ktav :
Publishing House, 1969, P. 186 .

(١٥) انظر : Hitti, History of the Arabs, P. 43 .

(١٦) انظر : الروائع من الأدب العربي . الجزء الأول ، العصر الجاهلي ، إشراف
ومراجعة د . يوسف خليف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص
٥٦٣ .

Cecil Roth, ed., The Standard Jewish Encyclopedia, Massadah Pub. (١٧)
Co. Jerusalem 1966, P. 554-555 .

Eugene A. Myers, Arabic Thought and the Western World in the (١٨)
، Golden Age of Islam, F. Ungar Pub. Co. New York, 1964, P. 83 .

ترجمه إلى العربية كاظم سعد الدين بعنوان " الفكر العربي والعالم الغربي " بغداد
١٩٨٦ م .

Ibid, P. 93 . (١٩)

Ibid, P. 99 . (٢٠)

Ibid, P. 99 - 100 . (٢١)

Ibid, P. 108 . (٢٢)

Ibid, P. 108, 109 . (٢٣)

Ibid, P. 109 . (٢٤)

Ibid, P. 109 - 111 . (٢٥)

Ibid, P. 111 - 112 . (٢٦)

Ibid, P. 112 . (٢٧)

Ibid, P. 117-118 . (٢٨)

Ibid, P. 118-119 . (٢٩)

Ibid, P. 119 . (٣٠)

Ibid, P. 119 . (٣١)

Ibid, P. 125-126 . (٣٢)

Ibid, P. 126 . (٣٤)

Ibid, P. 127 . (٣٥)

The Standard Jewish. Ency. P. 554 . (٣٦)

(٣٧) يعتبر كتاب " دلالة الحائرين " للفيلسوف اليهودي موسي بن ميمون من أهم الكتب التي دونت بالخط العبري وتم نقله إلى الخط العربي بواسطة الدكتور حسين أتابي بجامعة أنقره . ومن الأعمال التي تم نقلها من الخط العبري إلى الخط العربي كتاب ابن بارون وعنوانه " الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية " نقل د . أحمد محمود هويدي ، ومن إصدارات مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة ١٩٩٩ م .